

**الجزء الثاني : النبوة**  
**الدرس الحادي والعشرون**

**نظرة حول مسائل النبوة**

- المقدمة
- الهدف من بحوث هذا الكتاب
- منهج البحث في علم الكلام



## المقدمة

علمنا مما سبق وتناولناه في الجزء الاول من الكتاب، أن المسائل الأساسية التي يلزم على الانسان العاقل معالجتها، حتى يمكنه الوصول الى حياة انسانية يرتضيها العقل هي:

- ١ - من الذي أوجد الكون والحياة؟ ومن يتولى تدبيرهما وإدارتهما؟
  - ٢ - ما هو مصير الحياة، والمقصد النهائي للانسان؟
  - ٣ - مع ملاحظة الحاجة الملحة لكل إنسان لمعرفة الطريق الصحيح للحياة، ليصل - من خلال سلوكه - الى سعادته الحقيقة، وكماله المنشود، فما هي الوسيلة المضمنة لتحصيل هذه المعرفة؟ ومن الذي يحملها؟
- والجواب الصحيح عن هذه الأسئلة، يعبر عنه بالأصول الثلاثة (التوحيد، والمعاد، والنبؤة)، التي تُعتبر الأصول الرئيسة لكل الأديان السماوية.

وقد تطرقنا في الجزء الأول من هذا الكتاب لدراسة مسائل التوحيد، وتوصلنا الى أنَّ كلَّ المخلوقات تستمدُ وجودها من الخالق الواحد، وجميعها في ظلِّ تدبيره، ولا يمكن لأيِّ أحد الاستغناء عنه في كُلِّ شيء، وفي كُلِّ عمل، وفي أيِّ زمان ومكان.

وقد أثبتنا هذه المسائل بالأدلة العقلية<sup>(١)</sup>، وأوضحنا أنَّ هذه المسائل، لا يمكن إثباتها إلا عن طريق العقل، لأنَّ الاستدلال التبُعدي، والاستناد الى

---

(١) والإشارة الى بعض الآيات القرآنية خلال هذه البحوث ليست من أجل الاستدلال، وإنما لغرض التذكير بالمواقع التي وردت فيها هذه المسائل في القرآن الكريم.

كلام الله، إنما يكون صحيحاً فيما إذا ثبت - بالدليل العقليٌ - مسبقاً وجود الله، وكلامه، واعتبار كلامه. كما أن الاستناد إلى كلام النبي (ص) أو الإمام (ع)، يتوقف على إثبات نبوته أو إمامته، وحججية كلامهما، فلا بد - إذن - من إثبات أصل النبوة بالدليل العقليٍ.

أجل.. بعد إثبات أن القرآن الكريم على حقٍ يمكن لنا أن نستنبط تفصيلات هذه المسائل، من هذا المصدر الإلهيٌّ، وكذلك يلزم إثبات تفاصيل المعاد من طريق الوحيٍّ، وإن كان أصل المعاد نفسه يمكن إثباته بالدليل العقليٌّ، والدليل النقليٌّ أيضاً.

إذن.. فمن أجل التعرف على مسائل هذين الأمرين (النبوة والمعاد) وبيانها يلزمنا أن ثبت - أولاً - أصل المعاد وأصل النبوة بالدليل العقليٌّ، وبعد أن ثبت لدينا نبوة نبي الإسلام، وأن القرآن الكريم على حقٍّ؛ يمكن لنا التعرف على تفاصيل مسائل النبوة والمعاد من الكتاب والسنّة وبيانها، ولكن بما أن الفرز بين مسائل هذين الأمرين أكثر تأثيراً في التعليم، وأقرب للفهم، لذلك نحن نقتدي بالمنهج التقليديٌّ، وبنداً - أولاً - بدراسة مسائل النبوة، ثم نبحث في مسائل المعاد، وإذا احتجنا في بعض المجالات والبحوث إلى فكرة يلزم البحث عنها وإثباتها، فإننا نعتمدها في استدلالنا (كأصل موضوعي) ونوكل البحث عنها وعن إثباتها لموضعه.

## الهدف من بحوث هذا الكتاب

الهدف الأول من بحوث هذا الكتاب هو: إثبات فكرة وجود وسيلة أخرى غير الحس والعقل، يتوصل - من خلالها - لمعرفة حقائق الوجود، والطريق الصحيح للنجاة، بحيث لا تعرّض هذه الوسيلة للخطأ، وهذه الوسيلة هي (الوحي)، وهو نوع من التعليم الإلهي يختصُّ به بعض عباد الله المصطفين والمنتجبين، ويجهل حقيقته وكنهه عامة البشر، ذلك لأنَّهم لا يرون نموذجاً ومثلاً له في أنفسهم، ولكن يمكنهم التوصل لوجوده من خلال آثاره وعلاماته، وبذلك يصدقون دعوى الأنبياء (ع) بتلقيهم للوحي الإلهي وبطبيعة

الحال، لو ثبت نزول الوحي على أحد، وأبلغ للآخرين رسالته، وجب على الآخرين قبولها، والعمل بمبرتها، ولا يكون أيُّ فرد معدوراً في مخالفته له، إلا إذا كانت الرسالة مختصة بفرد معين، أو جماعة معينة، أو لزمان خاص.

إذن.. فالمسائل الأساسية لهذا الجزء هي: البرهنة على ضرورة بعثة الأنبياء، وصيانة الوحي من أيٍّ تلاعُب وتشويه وتحريف، عمداً أو سهواً، حتى وصول محتوياته للناس، وبتعبير آخر: وجوب عصمة الأنبياء في تلقي الرسالة الإلهية وإبلاغها، وكذلك وجود طريق ثبت به للآخرين نبوة الأنبياء.

وبعد تبيان المسائل الأساسية للوحي والنبوة بالدليل العقليّ، نصل إلى مرحلة البحث في المسائل الأخرى، أمثل تعدد الأنبياء، والكتب، والشريائع السماوية، وتحديد آخر الأنبياء، وأخر الكتب السماوية، وتحديد خلفائه وأوصيائه.

ولكن.. لا يتيسّر إثبات كلَّ هذه المسائل بالدليل العقليّ، بل لا بد من الاعتماد في الكثير من مجالاتها على الأدلة التقليدية والتبعديّة.

## منهج البحث في علم الكلام

تُتصحّح مما سبق الفروق الرئيسة بين الفلسفة وعلم الكلام، إذ أنَّ الفلسفة إنما تبحث في المسائل التي يتمُّ إثباتها بالأدلة العقلية، بينما يشمل علم الكلام، المسائل التي لا يمكن إثباتها إلا بالدليل التقليدي والتبعدي.

وبتعبير آخر: إنَّ النسبة بين مسائل الفلسفة، ومسائل علم الكلام هي (العموم والخصوص من وجه)، أي أنه بالرغم من اشتتمال الفلسفة وعلم الكلام على مسائل مشتركة بينهما، ثبتت بالدليل العقليّ، فإنَّ لكلِّ منها مسائل خاصة به، إلا ان المسائل المختصة بالفلسفة تُطرح بالأسلوب التعلقيّ، بخلاف المسائل المختصة بالكلام، حيث ثبتت بالأسلوب التقليدي والتبعديّ، وبتعبير آخر؛ إنَّ منهج البحث في علم الكلام (تلفزيقيٌّ وثنائيٌّ).

ويمكن الاستفادة في هذا العلم من الاسلوب العقلي، ومن الاسلوب التعبدي أيضاً.

والحاصل: هناك فرقان أساسيان بين الفلسفة وعلم الكلام:

الأول: إنَّ لكلِّ منها - بالإضافة إلى المسائل المشتركة - مسائل يختصُّ بها، لا يبحث عنها في العلم الآخر.

الثاني: إنَّ منهج البحث في مسائل الفلسفة جميعها منهج عقليٌّ، بخلاف علم الكلام، ففي بعض مسائله (أمثال المسائل المشتركة بين الفلسفة والكلام) يُستفاد من المنهج العقليٌّ، وفي مسائل أخرى، (أمثال مسائل الإمامة) يُستفاد من الأسلوب النقليٌّ، وفي بعض مسائله يُستفاد من كلام المنهجين (أمثال إثبات أصل المعاد).

وممَّا يلزم التأكيد عليه؛ أنَّ المسائل المختصة بعلم الكلام التي ثبتت بالطريق النقليٌّ والتعبديٌّ، ليست كلُّها في مستوى واحد، بل إنَّ بعضها يتمُّ إثباته مباشرةً بالأيات القرآنية الكريمة (بعد أن يثبت أنَّ القرآن الكريم على حقٍّ بالدليل العقليٌّ)، أمثال حُجَّة قول الرسول (ص) وفعله (أي السُّنة)، وبعد ذلك تثبت مسائل أخرى بالاعتماد على كلام الرسول (ص)، أمثال تعين خليفة النبيٍّ (ص) وحجَّة أقوال الأئمَّة المعصومين (ع)، وأخيراً طرح مسائل أخرى استناداً إلى كلام الأئمَّة الأطهار (سلام الله عليهم أجمعين).

ومن البديهيُّ أنَّ النتيجة التي نتوصل إليها من خلال الأدلة النقلية إنما تكون يقينية قاطعة، فيما لو كان سندها قطعياً ودلالتها صريحة.

## الأسئلة :

- ١ - لماذا بينَ مسائل فصل التوحيد بالأسلوب العقلي فقط؟
- ٢ - ما هي المسائل الأساسية لفصل النبوة؟
- ٣ - هل يمكن إثبات المسائل الأساسية للنبوة والمعاد بالأدلة النقلية؟ وهل هناك فرق بين هاتين المجموعتين؟
- ٤ - آية مسائل من علم الكلام يمكن إثباتها بالأدلة النقلية؟
- ٥ - ما هو السبب في تقديم فصل النبوة على فصل المعاد؟ وهل هناك ترتيب منطقي آخر تنظم به مسائل هذين الفصلين؟
- ٦ - ما هي الفروق بين الفلسفة والكلام؟
- ٧ - كم قسمًا يمكن تقسيم علم الكلام؟ اذكرها بالترتيب.

